قضايا الأدب والأدباء

ندوة الكتاب العربي بالقاهرة

كان الدكتور ثروت عكاشة ـ نائب رئيس وزراء الجمهورية العربية المتحدة للثقافة ، قد وعد رجال القلم بلقاء يبحث فيه معهم مشاكل الكتاب ، بعد اجتماعه بالسينمائيين والمسرحيين . وحقق الوزير وعده فور ادماج الدور الثلاث (القومية ـ المصرية ـ القلم) التي كبدت الدولة خسائر تقرب من المليون جنيه ، في دار نشر واحدة هي دار الكاتب العربي ، وبعد انشاء الدار القومية للتوزيع .

وتصدر الدكتور ثروت اجتماع بحث مشكلات الكتاب العربي ، وقد جلس الى يمينه الدكتورة سهير القلماوي والاستاذ محمد المعلم والى يساره الاستاذ محمود امين العالم ، وحضر الاجتماع الدكتور سهيل ادريس عن لبنان والاستاذ محمد المسعدي عن الجزائر والاستاذ حسن باكثير عن اندونيسيا ثم وزير الثقافة في (اوزبكستان السوفياتية) . وبعد ان توجه الدكتور ثروت للضيوف بالتحية والترحيب راجيا اياهم المشاركة في المناقشات ، استهل المناقشة بسؤال طرحه على المجتمعين: (اين موضع الكتاب العربي من حركة التغيير الاجتماعي والثوري ببلادنا وبالوطن العربي ؟) ثم اجاب مقررا ان الكتاب لم يعبر بعد عن كل التطورات الاساسية في مجتمعنا . ورغم ارتفاع معدل اصدار الكتاب من ٣٦٩ كتابا في عام ١٩٥١ الى ٢٦٢٦ في عام ١٩٦٥ فان هذا الكم لم تواكبه خطة تهتم بالكيف ، فكان من اثر ذلك الضعف والتشتت، فاذا تأملنا المكتبة العربية وجدنا بعض الكتب المتناثرة عن التراث الانساني والعربي . حتى الانتاج المعاصر الذي كان المفروض فيه تأكيد الاشتراكية مثلا ، نجده في معظمه متناقض الاتجاه . وهذا يثير البلبلة الفكرية ، وكان المفروض ان يشيع الوضوح والوعي ، ثم تكلم عن الشكل الخارجي للكتاب الذي يتوقف عليه قبوله عند القارىء ، فوصفه بانه متخلف عن كل فنوننا التشكيلية ، هذا الى جانب سوء التوزيع . واردف هذا الكلام بعدم انكاره لكل الجهود الجماعية والفردية التي بذلها الكتاب والمفكرون والفنانون العرب فضلا عن المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب ودور النشر العربية المختلفة للارتفاع بمستوى الكتاب العربي تأليفا وترجمة وطباعة ونشرا . على انه اكد انه في العموم لم يصل الكتاب العربي الى مستوى مسئولياته العظيمة .

ثم اورد الحقائق والارقام التي تجسم الخسائر التي وقعت بسبب انقسام دور اصدار الكتاب بين الشركات الثلاث . وكان دمجها متوافقا مع اتجاه الدولة العام الى التركيز في العمليات الانتاجية والاقتصادية (كما حدث في شركات السينما والفرق المسرحية) للحد من الاسراف والتكرار ، وتنسيق الجهود وتخطيطها وفقا لخطة التنمية . فقد نتج عن الدور الثلاث تكرار وتداخل في عملياتها المختلفة . كتب متشابهة . ادارات مكررة . تخبط في الانتاج . انعدام في التخطيط . كان من نتيجة كل هذا خسائر تبلغ ٩٥٠ الف جنيه في المؤسسة والشركات .

وفضلا عن هذا كله ، فان النظام العام للمؤسسة وشركاتها كان يمثل تداخلا وازدواجا ، اذ تصدر من السلسلة المعينة كتب تنتسب الى سلسلة اخرى وكتب تتكرر ترجمتها في اكثر من سلسلة بل يتكرر احيانا نشر الترجمة الواحدة للمؤلف نفسه في الشركة الواحدة . واشار الى ان هناك مجموعة من الاسماء محددة تدور بينهم الترجمة والمراجعة ، نجد بينهم من راجع كتبا ابعد ما تكون عن اختصاصه،وهكذا اصبحت العلاقات الشخصية تلعب دورا كبيرا في تحديد الكتاب وتحديد المترجمين والمراجعين والمؤلفين ، وتعاقدت بعض شركات المؤسسة على بعض الكتب التي تتناقض مع مبادئنا وافكارنا .

كل هذا عن الماضي كشف لنا ان تنظيم الجهاز الاداري والمالي السليم هو الاساس الراسخ لخدمة خطة النشر عند وضعها .

ثم عرض الوزير الخطوط العامة لما تحقق خلال الاشهر الماضية ، ادماج الادارات المتشابهة في الشركات الاربع التابعة للمؤسسة . وكان من نتيجة هذا ان ادمجنا الشركات الاربع في شركتين ، شركة الكاتب العربي للطباعة والنشر ، والشركة القومية للتوزيع .

ووضعت خطط لنظام اداري جديد للمؤسسة والشركتين يزيل البيروقراطية ، وقد اتخذت اجراءات الاغلاق لمكتباتنا التي كانت قد انشئت في البلاد العربية والتي كانت في الحقيقة تنافس المكتبات العربية المحلية وانشأنا مراكز للتوزيع بدلا منها .

كما تشكلت لجنة لفحص الكتب التي كانت معدة للطبع او حتى كانت على وشك الاصدار ، ولجنة أخرى لفحص الكتب المكدسة بالمخازن وتوقف اصدار بعض المجلات تمهيدا لاعادة اصدارها على اسس جديدة مدروسة .

وتحددت اسس ثابتة لتنظيم التعاقد مع المؤلفين والمترجمين حسب مستوياتهم الثقافية وطبيعة الموضوع المقدم وقيمته ، واعداد مشروع جديد لاصدار دائرة المعارف ومشاريع أخرى لاعداد مختلف المعاجم .

« على ان هذه الامور جميعا هي خطوات في سبيل الكمال . اننا نؤمن ان الكتاب خدمة اجتماعية ثم علمية اقتصادية ، ولسنا نؤمن بالتعايش السلمي بين الافكار الرجعية والافكار التقدمية ، لان الفكر هو اداة من ادوات الانتقال الثوري نحو مجتمعنا الاشتراكي الجديد . ولن نحد من حرية التعبير ولكننا نقف ضد كل ما هو مناقض لمبادئنا الانسانية والتقدمية والقومية » .

ثم اكد اهتمام وزارة الثقافة بالتراث العربي القديم وبالقيم الروحية والدينية وبالدراسات العلمية التي تجاهلناها في الماضي .

وتناول بعد ذلك تفصيل الخطة التي تحقق ذلك . وهي المسح العلمي الدقيق للمكتبة العربية لمعرفة نواحي النقص فيها ، ووضع خطة للتأليف والترجمة ، واصدار (بيبلوجرافيا) دورية شاملة لكل ما يصدر من كتب في الوطن العربي كله ، وتكوين لجان استشارية دائمة من مختلف المثقفين التقدميين في الجمهورية والبلاد العربية للتخطيط للكتاب العربي ، وتدعيم المكتبة العربية باحدث الالات الخارجية،وانشاء شبكة توزيع في الداخل مع توسيع استيراد الكتب الاجنبية وعقد مهرجان عربي شامل ثم مهرجان دولي . واخيرا وضع حد لتهريب العملة الذي يختفي وراء تصدير الكتاب .

واختتم الدكتور ثروت حديثه بان هذه هي خطتنا اطرحها امام جمهور المثقفين والعاملين في حقول النشر والطباعة والتوزيع راجيا مناقشتها بروح المودة والموضوعية والاخاء » .

وبعد ذلك دعا الدكتور ثروت المثقفين للمناقشة فقال الدكتور عبد القادر القط انه يوافق كل الموافقة على انه كانت هناك اخطاء كثيرة في الشركات السابقة ولكن هذه الشركات كان يمكن اصلاح حالها اذا اعد لها الاكفاء ، واضاف ان وجود عدة شركات اجدى للمنافسة حتى لا يطغى على المؤسسة الجديدة اتجاه ثقافي واحد . وتساءل عما فعلته الوزارة بالذين وافقوا على الكتب المناهضة لمبادئنا وطالب بضرورة محاسبتهم وبايجاد جهاز خاص بالقراءة . ثم ابدى رأيه بانه كان يجب

التفكير قبل اغلاق المجلات في البديل الذي يحل محلها .

وقد ردت الدكتورة سهير القلماوي على هذه المأخذ . فقالت : اذا كانت المنافسة بين القطاع العام قد انقطعت أو انعدمت بدمج الشركات فان المنافسة ما زالت موجودة بين مؤسسة الكاتب العربي ومؤسسة دار المعارف من جهة والقطاع الخاص من جهة اخرى . واضافت ان الامكانيات متاحة للجميع ، لان هذه المؤسسة عمادها الجمهور المثقف الذي يحدد ماهية الرجعية والتقدمية . وعن المجلات الادبية قالت ان اعادة تخطيطها امر واجب . وسنبدأ فورا بتخطيط المجلات الحالية وسينشر انتاج المبتدئين فيها ، حتى توجد مجلة خاصة بهم .

وقد تحدث محمود أمين العالم فيما بعد عن صدور مجلة فنية واخرى علمية .

وكان اول المتكلمين من الضيوف الدكتور سهيل ادريس ، فعلق على ما جاء بكلمة الدكتور ثروت عكاشة من ان التنافس سيحل مكانه التعاون بين البلدان العربية . فقال ان هذا الكلام جميل ولكنه غير محقق بالفعل ، واورد امثلة على ذلك . ورد الوزير على بعض منها في اليوم الاول وهو الخاص باصدار معاجم (الرائد) . واكمل الرد على الباقي في اليوم التالي وهو ما تكلم عنه الدكتور سهيل من عدم انضمام الجمهورية الى اتفاقيات النشر (برن ـ جنيف) فقال الوزير ان لجنة قد تكونت بالفعل لبحث هذا الامر فاذا كانت في مصلحة الجمهورية انضمت اليها .

ثم القى الاستاذ محمود السعيدي رئيس تحرير جريدة (الشعب) الجزائرية كلمة رقيقة عن ضرورة التصفية الكاملة والنواعية لكل الرواسب التي عطلت ركب الثقافة العربية . فالثقافة هي اكتشاف الانسان ولهذا ينبغي ان تكون صالحة وجادة وسليمة وقوية . ثم ينبغي الا ننظر اليها على انها سلعة . ثم اشار الى مشكلة التعريب في الجزائر ، وضرورة مساعدة الجمهورية اذ انهم يعتبرونها المصدر الاساسي لثقافتهم العربية التي يخططون لها .

ومن اخطر ما قيل في الاجتماع ما قاله الاستاذ حسن باكثير الناشر الاندونيسي حيث اوضح الاهمية البالغة لوضع خطة لتوزيع الكتاب العربي في جنوب شرق اسيا وخاصة في اندونيسيا . واضاف ان المسلمين في هذه المناطق يعتبرون القاهرة قاعدة النضال التحرري والفكر العربي والاسلامي المستنير ولهذا ينبغي أن يوزع الكتاب العربي على اوسع نطاق . ثم طالب باصدار سلسلة اسلامية تقدمية بالاضافة الى السلاسل التي ستصدرها مؤسسة الكاتب العربي . وقد وعد الدكتور ثروت بدراسة هذه الاقتراحات .

وبعد هذه الكلمات القيمة ، وطوال اليوم الاول والثاني الذي استمرت المناقشات فيه الى الثالثة والنصف ، تواردت الكلمات التي جاء معظمها وكأن الوزير لم يدل ببيانه الضافي عن وضع الدار في الماضي . ومحاولتها في الاصلاح وما اعدته لتجابه به المستقبل .

لقد اثيرت قضايا كثيرة اضرمها هلع القطاع الخاص على مصالحه، ودفاعه عن نفسه ، فجعل يبرر تعاونه مع مؤسسة فرانكلين التي ثبت عدم اخلاصها للوضع العربي ، بسبب كسل القطاع العام في التعاون معهم.

وقد كان الهلع يجتاح بعض الافراد الذين يخافون ان يتهموا بالرجعية فدافعوا عن انفسهم من غير ان يوجه احد لهم ادنى اتهام . من ذلك ان احدهم قد سأل عن معنى الفكر التقدمي والرجعي ، ثم راح يتحسر على اسم (الدار القومية للطباعة والنشر) ولما خافوا ان يكونوا بهذا الدفاع قد لفتوا الانظار راحوا يبحثون عن قناع مشروع يخفون به وجوههم فوجدوا ضالتهم المنشودة في كلمة الدكتور عبد القادر القط عن التراث ، فاخذوا يوردون كلاما ثم ينقدونه .

وراح احدهم ينتقد على بيان الوزير فيسأل عن معنى تعبير (اننا لا نخطط للتعبير وانما نخطط لامكانية التعبير) والبيان كما قال السيد الوزير ليس مقدسا ولكن مناقشته لا بد ان تكون على شيء من الذكاء . وقد رد على ذلك بقوله (اني قصدت بهذا التعبير اننا لا نتدخل لنفرض على الادباء والمثقفين افكارا او اتجاهات معينة ، لسنا اوصياء على تعبيرهم . فليعبر المثقفون وليكتب الادباء والمفكرون) واضاف ان ((مهمة وزارة الثقافة أن تتيح للمثقفين كل الاحتياجات المالية والادبية للتاليف . اما فيما يتعلق بالفكر التقدمي والفكر الرجعي ، فلا شك ان هناك بالفعل فكرا تقدميا واخر رجعيا ، ونحن نقصد بالفكر التقدمي ، كل فكر انساني يتفق مع مبادئنا الاساسية التي عبر عنها ميثاقنا . فلا يتنافض مع ايماننا بالاشتراكية ، ورفضنا للرأسمالية والاقطاع والاستعمار والصهيونية . وليس معنى هذا حدا لحرية الفكر بل معناه تحرير للفكر نفسه من السموم التي تعرقل التقدم .

وقال : ولسنا نقف مع مدرسة فكرية او ادبية ضد مدرسة فكرية او ادبية اخرى ، ما دامت جميعا تتحرك في اطار مبادئنا القومية ، واهدافنا الانسانية والتقدمية ، ومثلنا الروحية وقيمنا الدينية . ثم تأثر صوته وهو يرد على الذي سأله في تحسر عن دمج الدار القومية ضمن دار الكاتب العربي فقال (ان اسم الدار القومية للطباعة والنشر قد اصبح عنوانا سيئا يجني على الكتاب الجيد الذي نبغي اصداره) .

ورد على الكلمات التي قيلت للاهتمام بادب الفلاحين والعمال والاطفال فقال ان هذا هو الهدف الاول لوزارة الثقافة .

اما فيما يتعلق بقضايا التصدير والتهريب والورق والتوزيع وغيرها فوعد بالعمل على عقد لجان متخصصة لدراسة كل الاراء الطيبة التي طرحت في هذا الاجتماع وسيشترك في هذه المجالات ممثلو القطاع الخاص بغير شك .

وناقش الاستاذ بهيج نصار كلمة الدكتور رشاد رشدي عن حياد الفكر . فقال ان الفكر لا يحيد ولكن ينحاز دائما .. الى جانب الاصلح والاتم .

واخيرا اثيرت مشكلة الكتاب وهل هي مشكلة الكاتب أو مشكلة الناشر . فقال يوسف ادريس ان مشكلة الكتاب هي مشكلة النشر والتوزيع وان عندنا من الكتاب ما يكفي لاشباع الفكر . ورد اسعد حليم فقال ان مشكلة الكتاب هي ازمة وجود الكتاب . فمنذ عشرين عاما لم يصدر كتاب واحد يهز الوجدان العربي بعنف .

وقد شكر نائب رئيس الوزراء للمجتمعين مشقة الحضور.. وابدى فخره بوصول مناقشات المجتمعين الى اعلى مراتب الفكر الثوري المستنير.

القاهرة ع. ش

صدر حديثا

اباريق مهشمة

للشاعر عبد الوهاب البياتي

طبعة جديدة لواحد من اهم دواوين الشعر العربي الحديث

منشورات دار الاداب ٢٠٠ ق.ل